قضايا العلاقات الدولية بين الواقعية والعالمية: تحليل إمبيريقي 1990 – 1997*

عدنان محمد حسين الهياجنة**

ملخص: حاولت هذه الدراسة تسليط الضوء على أهم المناظرات العلمية في مجال دراسة العلاقات الدولية في فترة زمنية شهدت تطورات كبيرة ومهمة، وعلى رأسها قضية العولمة (1990-1997)، واختبرت فرضين أساسيين يقومان على الأسس الفكرية للمدرستين الواقعية والعالمية، وخلصت الدراسة إلى دعم فرض المدرسة الواقعية من خلال الاختبار الإمبيريقي الذي اعتمد على بيانات كمية ذات دلالة علمية، من خلال تحليل مضمون الصفحة الأولى لصحيفة الدستور (الأردن). وأوضحت الدراسة أن النتائج تشير إلى سيطرة مستمرة ومستقرة للمدرسة الواقعية على مخرجات العلاقات الدولية، وهذا واضح من خلال مقارنة عدد التكرارات السنوية للبيانات الجزئية والكلية، والاستقرار الواضح في تغطية قضايا المدرسة الواقعية، وبيّنت الدراسة كذلك أن الاختبار العلمي لا يدعم فرض المدرسة العالمية ومقولاتها في الفترة الزمنية للدراسة، كما تجدر الإشارة هنا إلى مستقبل العلاقات الدولية من حيث المخرجات التي ستبقى كما هي عليه، لأن المدرسة المسيطرة عليه هي المدرسة الفكرية التي تحكم سلوك الدول المهيمنة على العالم – الولايات المتحدة الأمريكية – ومن الواضح أن بروز قضايا المدرسة العالمية لا يعني بالضرورة تغيراً في المنهج السلوكي للدول في العلاقات الدولية، لأن مثل هذه القضايا موجودة، وما هي إلا فورات هنا وهناك لا تعبر بالضرورة عن تغير

* قدمت بعض الأفكار في هذه الدراسة إلى مؤتمر: (Protesting Globalization: Prospects for Transitional Solidarity Conference: University of Technology, Sydney: Australia, December 10-14, 1999).

** أستاذ العلوم السياسية المساعد (Assistant Prof.)، قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الهاشمية، (الزرقاء – الأردن).

منهجي فلسفي في دراسة العلاقات الدولية؛ بل إنّها – كما ألمحت الدراسة – تستخدم بوصفها غطاءً لتحقيق الأهداف الذاتية للأمن القومي للدولة المسيطرة، دون وجود تركيز وسياسة بعيدة الأجل فيما يتعلّق بالموضوعات المهمة.

مصطلحات أساسية: (الواقعية، العالمية، دراسة إمبيريقية، مناظرات العلاقات الدولية، المدارس الفكرية في العلاقات الدولية، مخرجات العلاقات الدولية، قضايا العلاقات الدولية).

مقدمة:

تسعى هذه الدراسة إلى محاولة اختبار المدى الذي ما زالت تسيطر فيه المدرسة الواقعية على توجهات العلاقات الدولية، واستمرار تحكّمها في النظام الدولي ومخرجاته؛ لذا فإن هذه الدراسة تسعى إلى تحليل أثر كل من المدرستين: الواقعية (The Realist School) والعالمية (The Globalist School) على مخرجات العلاقات الدولية، وعلى وجه الخصوص قضايا العلاقات الدولية في المدّة الواقعة بين عامي 1990 و1997. وهي محاولة لاختبار المدرسة المسيطرة على فهم مخرجات العلاقات الدولية وتفسيرها في عقد ذي أهمية، تميز بانطلاقة النظام الدولي الجديد وظهور العولمة، وكثير من التغيرات المهمة في طبيعة العلاقات الدولية.

وتطرح الدراسة عدة أسئلة تتعلق بالمرجعية الفلسفية للعلاقات الدولية، هي: هل تغير المرجع الفلسفي الذي يحكم العالم من الواقعية إلى العالمية؟ وإذا كان ذلك صحيحاً، فهل زاد الاهتمام بالقضايا التي تهم المدرسة العالمية خلال مدّة الدراسة؟ وذلك على ضوء المقولة السائدة؛ إن المدرسة العالمية ستظهر اهتماماً كبيراً بالقضايا الإنسانية للعالم، مثل: معالجة القضايا البيئية والتجارة الدولية، والتبادل الاقتصادي والثقافي بين الدول، بعيدا عن التسلح وقضايا الأمن القومي التي تركز عليها المدرسة الواقعية من خلال تركيزها على الحرب والقوة بوصفهما وسيلتين أساسيتين في الحفاظ على أمن الدولة.

مسوِّغات الدراسة:

ناقش كثير من العلماء والباحثين – من وجهة نظر المدرسة العالمية – أهمية المرجعية الفلسفية وأثرها في القضايا والمشكلات الدولية التي يمر بها العالم في عقد التسعينيات من القرن العشرين، لكن المطلع والمتابع للعلاقات الدولية منذ عام 1990 ربما لا يجد تغييرا يذكر في الاتجاه الذي يشير إليه أصحاب المدرسة العالمية؛ لذا فإن الدراسة الحالية تعدّ محاولة علمية لاختبار مدى صدق (Validity)

كل من اقترابات (Approaches) المدرسة الواقعية، والمدرسة العالمية في تفسير التركيز على قضايا العلاقات الدولية دون غيرها في المدّة الزمنية المذكورة؛ وذلك لأنّ الاهتمام بهذه القضايا دون غيرها يعطي مؤشرا علمياً وقوياً لتوجهات العلاقات الدولية في بداية الألفية الثالثة، كما يعطي إشارات للباحثين بقدرة كل مدرسة على التنبؤ بالمستقبل (Hussain, 1999; Miller, 1999; Rosenau, 1999; Russell, 1999).

والمتفحص للعلاقات الدولية في الفترة الزمنية للدراسة يلاحظ ما يلي:

1 – استمرار الحروب بشكل عام في كثير من بقاع العالم، وخصوصاً في كل من يوغسلافيا (البوسنة والهرسك والصرب) منذ عام 1990، والعراق (حرب الخليج الثانية) منذ عام 1991 وحتى الآن، والحرب الروسية ضد الشيشان منذ منتصف التسعينيات وحتى الوقت الحالي (نهاية عام 2000)... إلخ، والحروب الأهلية في دول القارة الأفريقية، ودول أمريكيا الجنوبية، والصراعات العرقية في منطقة الشرق الأوسط.

2 – التجارب النووية في كل من باكستان، والهند، وإسرائيل، وفرنسا.

3 – المناورات العسكرية الصينية (1998)، والتحرش بتايوان، وكثير من التحالفات العسكرية، ومنها التحالف الإسرائيلي – التركي في منطقة الشرق الأوسط... إلخ.

4 – استمرار الصراع بين الكوريتين الجنوبية والشمالية، والصراعات الحدودية في كثير من بلدان العالم، وبخاصة دول الخليج العربي ومنطقة الشرق الأوسط، والصراع حول كشمير بين كل من الهند وباكستان.

5 – استمرار المماطلة الإسرائيلة في عملية السلام في منطقة الشرق الأوسط، والهجمات الإسرائيلية المتكررة على لبنان، والتهديد بشن حروب وهجمات وقائية ضد دول إسلامية، مثل إيران وباكستان.

6 – التدخلات والهجمات الأمريكية المتكررة على السودان والعراق، وكثير من بقاع العالم المختلفة، واستخدام الشرعية الدولية لأغراضها عبر هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على الأمم المتحدة (Heisbourg, 1999; Rubin, 1999, Weller, 1999).

7 – زيادة حدة الإرهاب في هذا القرن والسنوات المقبلة[1].

(1) يعد الإرهاب من أهم التحديات التي تواجه الولايات المتحدة الأمريكية في القرن الحادي والعشرين، وورد ذلك على لسان كثير من المستشارين في الولايات المتحدة الأمريكية (Nye, 1998).

8 – تزايد مبيعات الأسلحة وخصوصاً لدول العالم الثالث؛ وبشكل خاص إلى الدول العربية، حيث تتصدر هذه الدول قائمة أكثر الدول إنفاقاً على الأسلحة، وذلك على حساب تحقيق أهداف التنمية الأخرى (على الأقل القضاء على الفقر)، كما أن الولايات المتحدة الأمريكية تتصدر قائمة أكبر المصدرين لهذه الأسلحة (SIPRI, 1999; Eisenstadt, 1998)، في حين تطالب الأخيرة بالديمقراطية وتحقيق نمو اقتصادي وعالم مزدهر.

9 – زيادة نسبة الفقر والبطالة في دول العالم الثالث، واتساع الفجوة الاقتصادية بين هذه الدول ودول عالم الشمال.

10 – زيادة المشكلات الداخلية في دول عالم الجنوب؛ نتيجة للمؤثرات الخارجية، وخصوصاً السياسات الاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية[2].

فكل ما تقدم يعدّ أمثلة بسيطة على استمرار سيطرة المدرسة الواقعية على توجهات العلاقات الدولية (Walt, 1998)، إذ إن معظم هذه القضايا تصب في صلب توجهات هذه المدرسة، وهذه القضايا تميزت بالطابع العسكري والأمني الذي يركز على أهمية الأمن القومي (Weller, 1999)، وهي مؤشرات تبّين واقع العالم في العقد الأخير من القرن العشرين. وبرغم ذلك فلا يمكن الجزم بهذا الأمر، لأن هناك وجهة نظر أخرى تتمثل في المدرسة العالمية التي تشير إلى أن التركيز قد أصبح (أو سيصبح) منصبّاً على قضايا الأمن الناعمة والقضايا الإنسانية، كما يمكن القول إن هذه مجرد أمثلة منتقاة لدعم وجهة نظر المدرسة الواقعية؛ لذا فإن الدراسة الحالية ستمنح الاختبار العلمي مجالاً لحسم هذا الأمر، وهو الباعث الرئيس لهذه الدراسة.

أهمية البحث:

ترجع أهمية البحث إلى نقطتين أساسيتين:

أولاً: الأهمية العلمية؛ وهي محاولة اختبار المدرسة المسيطرة على فهم مجريات العلاقات الدولية وتفسيرها والتنبؤ بها، وخصوصاً مدى سيطرة المدرسة الواقعية عليها، ودحض الفكرة القائلة بسيطرة المدرسة العالمية على تفسير السلوك الدولي في العقد الأخير من القرن العشرين.

2 – الأهمية العملية، وتتمثل في سبر مدى استحواذ الفهم الخاطىء للنظام

(2) يمكن ذكر المكسيك، والبرازيل، ودول جنوب شرق آسيا في هذا الصدد.

العالمي الجديد، وبخاصة المدرسة العالمية (العولمة) وتأثيرها في العلاقات الدولية، وبخاصة مخرجات هذه العلاقات، ومدى تركيز هذه الدول على ذلك؛ إذ يمكن أن تكون الاتجاهات العالمية نابعة من منبعين فلسفيين مختلفين: الواقعية والعالمية، وهذا قد يؤدي إلى فهم متناقض لطبيعة العلاقات الدولية، فأمريكا التي تسيطر على العالم تنطلق من منظور الواقعية السياسية، وأهمية التركيز على القوة العسكرية في المحافظة والدفاع عن أمنها القومي (Crothers, 1999; Freedman, 1999; Hussain, 1999; Rubin, 1999; Zakaria, 1998). في الوقت الذي تكون فيه كثير من الدول محكومة بمفهوم المدرسة العالمية التي تركز على قضايا لا تقتنع بها الولايات المتحدة الأمريكية؛ لذا فإن على الدول التعامل مع القضايا الدولية من منظور واقعي إذا أثبتت الدراسة المقولة المتمثلة في سيطرة المدرسة الواقعية على العالم؛ وإلاّ ستبقى دعايات المدرسة العالمية – التي تدعو إلى العولمة – مجرد أمنيات لا يمكن تحقيقها، وقد ينظر إليه على أنه وسيلة للتحكم في العالم، من خلال غطاء فلسفي واقعي (ظاهرة العولمة) لكنه في الواقع مبني على أساس الأمن القومي، وهو جوهر المدرسة الواقعية، وبخاصة إذا لاحظنا أن ما يزيد على نصف سكان العالم يعيشون في فقر مدقع نتيجة السياسات الواقعية التي تنتهجها الولايات المتحدة الأمريكية في ميدان العلاقات الدولية (Adamson, 1999).

صعوبات الدراسة:

واجهت الدراسة عدة صعوبات تتمثل في:

1 – الجهد الكبير الذي بذل في جمع بيانات الدراسة – عبر تحليل المضمون – لبناء قاعدة بيانات الدراسة لمدّة زمنية طويلة، بالإضافة إلى التحليل اليومي للصفحة الأولى لعينة الدراسة لمدّة ثماني سنوات.

2 – غياب الدعم المالي لهذا البحث، والاعتماد على المصادر الذاتية في تمويله.

3 – صعوبة الحصول على مصادر للبيانات الإحصائية مشابهة لبيانات الدراسة، وذلك لغياب البحث العلمي المشابه لها في العالم العربي.

وبرغم ذلك فقد ذُللت معظم هذه الصعوبات، ووضعت بين يدي الباحثين قاعدة بيانات يمكنهم الاستفادة منها، والبناء عليها في محاولاتهم اختبار كثير من الفروض، وخصوصاً فيما يتعلّق بالعولمة والعلاقات الدولية، وشملت قاعدة البيانات – أيضاً – مجمل قضايا النظام الدولي الجديد ومخرجاته، ووفرت للباحثين نتائج

اختبار إمبيريقي لواقع العلاقات الدولية في بداية الألفية الثالثة، بعيدا عن المقالات الصحفية والكتابات الانطباعية والانفعالية التي لا تستند إلى أساس علمي ومنهجي.

الدراسات السابقة

يمكن القول إنّ دراسة العلاقات الدولية في القرن العشرين تطورت مع بداية تزايد نشاط الولايات المتحدة الأمريكية في العالم، وبخاصة بعد الحرب العالمية الأولى وفك عزلة الولايات المتحدة الأمريكية؛ لذا ارتبطت دراسة العلاقات الدولية بشكل كبير بسلوك الولايات المتحدة الأمريكية وظروفها. ومن هنا لا بد من مناقشة هذه التطورات، وكيفية انعكاسها على واقع العلاقات الدولية، وأثرها فيه. فالولايات المتحدة الأمريكية – على سبيل المثال – التي وضعت النظام الدولي، وهيمنت عليه، باتت تسيطر على مخرجاته، وهذا ما قد تؤكده هذه الدراسة أو تنفيه.

يمكن القول إن المدرسة المثالية (The Idealist School) قد سيطرت على دراسة العلاقات الدولية في مرحلة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية (Carr, 1962)، حيث سيطرت أفكار (الرئيس ويسلون) المثالية على صياغة السياسة الخارجية الأمريكية، وأثَّر ذلك في المدارس الفكرية في حقل العلاقات الدولية، بيد أن هذه الأفكار انهارت بسبب قيام الحرب العالمية الثانية، وإخفاق تنبؤات المدرسة المثالية التي تدعو إلى عولمة العالم، ودمقرطة النظام الدولي على أساس المساواة، ويذكر في هذا الصدد تجربة عصبة الأمم التي رفضتها الولايات المتحدة الأمريكية، لأن فيها نوعا من المساواة بين الدول الكبرى والدول الضعيفة.

وفي **مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية** سيطرت المدرسة الواقعية على دراسة العلاقات الدولية، وانطلق مورجانثو (Morgenthau, 1952) الذي يعد مؤسس هذه المدرسة من مبدأ أساسي يتمثل في أنّ هناك أشياء كثيرة في العالم لا نستطيع أن نغيرها أو نفعل بها شيئاً، ومن الواجب علينا محاولة فهمها كما هي. وفي هذه المرحلة يمكن القول إن الباحثين قد بدأوا بتطوير نظريات لفهم ما يحدث في العلاقات الدولية، كما حدث أيضاً تقدم في تطوير البيانات الإمبيريقية (Empirical Data) لدراسة العلاقات الدولية.

وبناء على ذلك فمعظم الدراسات التي ظهرت – منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى السبعينيات – تمحورت حول المقترب الواقعي (Realist Paradigm) (Morgan, 1990; Vasques, 1979)، لكن حدثت تطورات في عقد السبعينيات نافست

المدرسة الواقعية أو حاولت التشكيك في قدرتها على فهم قضايا العلاقات الدولية وتفسيرها، ويمكن إجمال هذه التطورات فيما يلي:

– ظهور العولمة (Globalism) منذ منتصف السبعينيات، برغم أن استخدام هذا المصطلح أصبح أكثر شهرة في بداية عقد التسعينيات، وتمثل ذلك في ظهور الفاعلين – غير الدول – في العلاقات الدولية (Trans- Nationalism) (انظر: Keohane & Nye, 1998; Sullivan, 1982, 1990).

– بدء المناظرة بين المدرستين الواقعية والمثالية، وخصوصاً بعد حرب فيتنام، إذ شكك كثير من الباحثين في قدرة المدرسة الواقعية على تفسير حرب فيتنام؛ لذا ظهرت الحاجة إلى دراسات تعالج مشكلات الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي **مرحلة الثمانينيات** ظهرت بحوث العولمة والاعتماد المتبادل (Globalism and Interdependence Research)، وحوّلت كثيراً من الأحداث الدولية مسار البحث في حقل العلاقات الدولية في هذا الاتجاه، ومنها: أزمة الرهائن الأمريكيين في إيران، والحرب الباردة، والانفراج في العلاقات الدولية بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية (Détente)، وتفجير موقع المارينز في لبنان، واجتياح بنما، وزيادة نسبة التبادل الاقتصادي والثقافي بين الدول، وهو ما أطلق عليه الاعتماد المتبادل بين الدول (Interdependence) (Keohane, 1983, 1986, 1988; Keohane & Nye 1998). ويمكن رسم ملامح العلاقات الدولية في **مرحلة التسعينيات** بالصورة التالية:

1 – بداية العودة إلى المثالية أو ما أطلق عليه المثالية الجديدة (Neo-Idealism) التي عبر عنها تشارلز كيجلي (Kegly, 1993) في خطابه أمام رابطة الدراسات الدولية (International Studies Association) في عام 1993[3].

2 – تزايد ظاهرة الشعور بالقومية والعرقية (The rise of nationalism)، واندلاع الحروب العرقية في يوغسلافيا السابقة، وروسيا، ودول أفريقيا... إلخ.

3 – ظهور النظرية النقدية (Critical theory) التي ترى أن المناهج التي طورها الباحثون غير ضرورية (Ferguson & Mansbach, 1988)، وهناك حاجة إلى نظرية جديدة للعلاقات الدولية، وخصوصاً أن المدرسة الواقعية غير مجدية (Sullivan, 1990: 18).

4 – ظهور النظام العالمي الجديد أو النظام الدولي الجديد، برغم وجود وجهات

(3) يمكن القول إنَّ ظاهرة العولمة انبثقت من هذا المنبر الفكري.

نظر متباينة في هذا الخصوص، ومدى تأثيره في مخرجات العلاقات الدولية (الهياجنة، 1999).

الأساس النظري للدراسة: المناظرات الفكرية في العلاقات الدولية:

إن المراجعة العلمية لتطور المناظرات المسيطرة على دراسة العلاقات الدولية والتي استخدمت لفهم قضايا العلاقات الدولية وتحليلها، تشكل الأساس النظري والمنهجي لهذه الدراسة، وهي مبنية على أساس كل مدرسة ومنطلقاتها. ويمكن القول إن أهم هذه المناظرات تلك التي حدثت بين المدرستين الواقعية والعالمية، والتي تقوم على أسس نظرية فلسفية وعلمية.

مقولات المدرسة العالمية:

تقوم المدرسة العالمية على الإرث الفلسفي للمدرسة المثالية؛ لذا لا بد من استعراض أهم مقولات هذه المدرسة. ترى **المدرسة المثالية (Idealist School)** أن صنّاع القرار لهم حرية الاختيار والتصرف في شؤون السياسية الخارجية لدولهم، وعليهم اختيار ما هو في مصلحة البشرية والعالم، كما أنها تركز على ما يجب أن يكون وما ينبغي أن تتصرف فيه هذه الدول، وليس ما تقوم به هذه الدول فعلا، وهي تعارض استخدام القوة العسكرية في العلاقات الدولية، كما تمنع إقامة التحالفات السرية بين الدول. وتركز المدرسة المثالية على أهمية القانون الدولي والحقوق والواجبات الدولية، كما تشير المدرسة المثالية إلى أن السلوك الإنساني يمكن تغييره، ويمكن تحسين البيئة الدولية التي تتعامل فيها الدول من خلال إنشاء المنظمات الدولية التي تساعد على الوصول إلى السلام الجماعي (Collective Peace). وترى المدرسة المثالية أن أفضل الأنظمة السياسية هو النظام الديمقراطي، وشيوع الأنظمة الديمقراطية يساعد على تحقيق السلام العالمي. وقد ظهر نمط بحثي في العلاقات الدولية خلال عقد التسعينيات تشير نتائجه إلى أن الدول الديمقراطية لا تحارب الدول الديمقراطية؛ لذا فهناك علاقة إيجابية بين الديمقراطية والسلم العالمي (ري، 1996؛ Dixon, 1992).

وظهرت المدرسة العالمية (Globalist School) في بداية الثمانينيات (Keohane, 1983) من أصول المدرسة المثالية، وهي تجمع بين الواقعية والمثالية من حيث الفاعلين في العلاقات الدولية، حيث تشمل الدول وغيرها من الفاعلين الآخرين، مثل الشركات المتعددة الجنسيات والمنظمات الدولية. وهذه المدرسة عدَّت أن الحرب أصبحت شيئاً من الماضي. بيد أنّ ما دعت به هذه المدرسة لم يحدث فعلا، إذ أوضح مايكل سوليفان (Sullivan, 1990) في كتابه: **القوة في العالم المعاصر**، أن الحرب ما زالت موجودة ولم

تختف أو أصبحت جزءاً من الماضي كما تدعي المدرسة العالمية، بالإضافة إلى ذلك فإن المدرسة العالمية لم تتوقف عند حل هذه المشكلة الأساسية في العلاقات الدولية، إذ إنها ذهبت وطورت نظرية جديدة لتفسير ظواهر ومشكلات أخرى؛ لذا فإنها لا تعبر عن أي إنجاز نظري في مجال العلاقات الدولية (انظر: Kuhn, 1970). إن ما يقدمه مايكل سوليفان (Sullivan, 1990, ch. 7) من انتقادات للمدرسة العالمية منطقي، فهو يرى أن الخلاف والمناظرة بين الواقعية والعالمية ضروري، لكن المناظرة يجب أن تتخطى الجدال إلى التركيز على الاختبار الإمبريقي، حيث يتاح له المجال ليصف حالة العلم في حقل العلاقات الدولية، ويطور النظريات لفهمها.

مقولات المدرسة الواقعية:

يعتقد «والت» أن المدرسة الواقعية (The Realist School) ستبقى المدرسة المؤثرة في تحليل العلاقات الدولية، برغم كل ما يقال عن النظام الدولي الجديد: العولمة... إلخ (Walt, 1998)، وتعتقد المدرسة الواقعية أنّ الهدف من دراسة العلاقات الدولية لا يتمثل في تطوير خطط سلام، أو مناقشة كيف يجب أن يسير العالم، لكن الهدف هو دراسة العلاقات الدولية لفهم الهيكل والعمليات المتكررة وديناميكيات أنظمة الدول. وهناك أربعة افتراضات (Assumptions) جوهرية للواقعية يتفق عليها معظم الباحثين في حقل العلاقات الدولية (Adams, 1999; Sullivan 1982, 1990; Vasques, 1979)، وهي:

1 – الدول هي أهم الفاعلين في العلاقات الدولية.

2 – أهم أهداف الدول هو الحصول على القوة.

3 – الدول تحقق القوة من خلال سياسات عقلانية.

4 – أهم القضايا التي تعنى بها هي قضايا الأمن العسكري والأمن القومي للدول.

لذا فإن مدرسة الواقعية السياسية تعطي نظرة متشائمة للعلاقات الدولية، لذا فإن مفكري هذه المدرسة لا يثقون كثيراً بما تدعو إليه المدرسة المثالية من أهمية الأعراف والأخلاق... إلخ. وتعد القوة بالنسبة لباحثي المدرسة الواقعية مثل الطاقة بالنسبة للفيزيائيين، ويمكن القول إن المدرسة الواقعية تتناقض مع المدرسة العالمية في كثير مما دعت إليه.

وقد انبثق عن الواقعية عدة تسميات، منها الواقعية الجديدة (Neorealist School)، والجوهر الأساسي لهذه المدرسة هو فكرة التفكير في العلاقات الدولية بوصفها نظاماً

(System) معرّف الهيكل، والمفهوم الأساسي الذي يشكله هو توزيع القوة (Power Distributions) (Waltz, 1979) وهذا هو الفرق الأساسي بين الواقعية الجديدة والواقعية الكلاسيكية. في حين يرى «كوهين» أن الواقعية الجديدة تطورت من أجل أن تعكس الواقع في العلاقات الدولية (Keohane, 1988). لذا لا بد في هذا المجال من مقارنة بين الواقعية والواقعية الجديدة (Keohane, 1986; Shimko, 1992; Sullivan, 1990):

أولا: وحدة التحليل في الواقعية الكلاسيكية هي الدول، فهذه المدرسة ترى أن العالم يمكن التعامل معه من خلال التفاعل بين الدول، أما بالنسبة إلى الواقعية الجديدة فإن وحدة التحليل هي النظام وهيكل هذا النظام.

ثانياً: اتجاه العلاقة السببية في تفسير العلاقات الدولية، بالنسبة إلى الواقعية الكلاسيكية، فهي ترى سبب السلوك الدولي أو مسبباته في اتجاه واحد، وذلك من خلال تفاعل الدول إلى نتائج هذا التفاعل، وهذا واضح من خلال مبادىء «مورجانثو» الستة الرئيسة للواقعية السياسية، أي أن الاتجاه تحتي – فوقي. وبالنسبة إلى الواقعية الجديدة فهي ترى العلاقة السببية في اتجاهين: الاتجاه الأول أسباب العلاقات الدولية تقع في مستوى تفاعل الوحدات الدولية (الدول)، والآخر يقع في هيكل النظام الذي تتفاعل فيه الدول، فالاتجاه في التفسير فوقي – تحتي.

ثالثاً: منهج التفسير: بالنسبة إلى الواقعية الكلاسيكية استنباطي (Inductive)، أما بالنسبة إلى الواقعية الجديدة فهو استنتاجي أو استدلالي (Deductive).

رابعاً: جوهر التفسير، إن جوهر التفسير بالنسبة إلى الواقعية الكلاسيكية هو التركيز على الطبيعة الإنسانية (Human Nature) لفهم الصراع السياسي، في حين أن جوهر التفسير بالنسبة إلى الواقعية الجديدة يقع في البيئة الدولية، والمتمثلة في الفوضى السياسية (Anarchy) في النظام الدولي، والتي تشكل الضاغط على سلوك الدول (Imperatives).

وجملة القول إن المناقشة الحالية بالإضافة إلى المناظرات التي عرضها «والت» في جدول (1) تتضمن أهم المناظرات العلمية في حقل العلاقات الدولية، وفي هذه الدراسة سيتم التركيز على المدرستين الواقعية والعالمية، من حيث القضايا التي تركز عليها في العقد الأخير من القرن العشرين.

جدول (1)
المدارس الأساسية في دراسة العلاقات الدولية*

	الواقعية Realism	الليبرالية Liberalism	التوليفية Constructivism
المبدأ النظري الأساسي	الدول ذات المصلحة الخاصة تتنافس باستمرار من أجل القوة أو الأمن.	الاهتمام بالقوة قد تم تخطيه لاعتبارات اقتصادية وسياسية والرغبة في الازدهار والولاء إلى المبادىء الليبرالية.	سلوك الدولة يوجه بمعتقدات النخبة، والمبادىء الجماعية والمعارف الاجتماعية.
أهم وحدات التحليل	الدول	الدول	الأفراد وبخاصة النخبة السياسية.
أهم الأدوات	الأدوات الاقتصادية وبخاصة القوة العسكرية.	المنظمات الدولية، التبادل الاقتصادي، نشر الديمقراطية.	الأفكار والتراجع عن المبادىء القديمة.
المنظرون الحديثون	Hans Morgenthau, Kenneth Waltz	Michael Doyle Robert Keohane	Alexander Wendt John Ruggie
أهم الكتب الممثلة	Waltz: Theory of International Politics Mearsheimere: Back to the Future after the Cold War (International Security).	Keohane: After Hegemony Fukuyama: The End of History? (National Security, 1989).	Wendt: Anarchy is what states make of it (International Organization, 1992); Koslowchwi: Understanding changes in international politics (International Organization, 1994).
تنبؤات مرحلة ما بعد الحرب الباردة.	العودة إلى التنافس بين الدول العظمى.	زيادة التعاون الدولي وخصوصاً مع انتشار المثل والمبادىء الديمقراطية، والأسواق الحرة، والمؤسسات الدولية.	التشكيك لأنها لا تستطيع أن تتنبأ بمضمون الأفكار.
القصور الأساسي	عدم التمكن من استيعاب التغيير الدولي	تميل إلى إهمال دور القوة	الجدية في تفسير الماضي أكبر من التنبؤ بالمستقبل.

* المصدر: هذه المعلومات مقتبسة من دراسة الباحث «والت» (Walt, 1998).

والمنطلق النظري للدراسة يأتي من دراسة سوليفان (Sullivan, 1982) حول المناظرة بين الواقعية والعالمية، وخصوصاً ما تدعيه العالمية من زيادة الاعتماد المتبادل بين الدول بوصفه مؤشراً على صحة توقعات المدرسة العالمية، والذي أثبت «سوليفان» في عدة دراسات أنها غير مستندة إلى البيانات (Data)، لذا فهذه الدراسة تمثل عودة إلى نظرية «سوليفان» حول المناظرة بين الواقعية والعالمية (Realism vs. Globalism).

وفيما يلي تلخيص أهم مقولات المدرستين تحت الاختبار، والتي تشكل العوامل المستقلة في هذه الدراسة:

المقولات	المدرسة الواقعية	المدرسة العالمية
الفاعلون	الدول	المنظمات الدولية والدول، والشركات والأفراد.
القضايا	الأمن القومي والعسكري.	القضايا الإنسانية، والسكان، والتلوث، والتجارة... إلخ.
الحرب	خيار متاح للحفاظ على الأمن القومي للدولة.	خيار غير متاح وشيء من الماضي.
العلاقات الدولية	صراع مستمر من أجل القوة.	زيادة التفاعل، والاعتماد المتبادل بين الدول.

تصميم البحث

فروض الدراسة:

تقوم الدراسة على اختبار فرضين أساسيين ينطلقان من المنافسة في تفسير السلوك الدولي بين كل من المدرستين الواقعية والعالمية:

أولاً: فرض المدرسة الواقعية: إذا كانت المدرسة الواقعية هي المسيطرة على السلوك الدولي، فإن التركيز في قضايا العلاقات الدولية سيكون منصباً على قضايا الأمن القومي والأمن العسكري، بالإضافة إلى إهمال قضايا الأمن الناعمة، وباختصار فإن معادلة الفرض المقترح هي كما يلي: **سيطرة المدرسة الواقعية يؤدي إلى اهتمام أكبر بقضايا الأمن القومي، وبخاصة الصراع والحرب والإرهاب.**

ثانياً: فرض المدرسة العالمية: إذا كانت المدرسة العالمية هي المسيطرة على السلوك الدولي، فإن التركيز في قضايا العلاقات الدولية سيكون منصباً على قضايا الأمن الناعمة، بالإضافة إلى إهمال قضايا الأمن القومي، وباختصار فإن معادلة الفرض

المقترح هي كما يلي: **سيطرة المدرسة العالمية يؤدي إلى اهتمام أكبر بقضايا الأمن الناعمة، وبخاصّة القضايا الإنسانية، مثل السكان، والتلوث، والتجارة... إلخ.**

مفاهيم الدراسة ومتغيراتها:

1 – العوامل المستقلة

تعتمد العوامل المستقلة لهذه الدراسة على المقولات الأساسية للمدرستين العالمية والواقعية، والتي تمت مناقشتهما في الصفحات السابقة (الجدول 1).

2 – العوامل التابعة:

القضايا الأمنية والعسكرية: وهي أهم القضايا التي تركز عليها المدرسة الواقعية، وتشمل القضايا الأمنية وقضايا الأمن القومي والدفاع عن الدولة، وذلك بزيادة قوة الدولة، وردع الدول المعادية، وذلك من خلال التسلح والإنفاق العسكري، لأنه لا يوجد في النظام الدولي من معين لها، وخصوصاً أنها تهمل دور الأمم المتحدة والمنظمات الدولية.

قضايا الأمن الناعمة: وهي القضايا التي تنادي بها المدرسة العالمية وتطرحها، وهي استبعاد التركيز على القوة العسكرية، وخصوصاً أن التركيز على الحرب أمر غير مجدٍ، وأن الإنفاق العسكري يؤدي إلى مزيد من الصراع، وهي بذلك تسلط الضوء على قضايا الأمن القومي من وجهة نظر مختلفة عن تلك التي تركز عليها المدرسة الواقعية، فهي تُعد الأمور الإنسانية والقضايا الاقتصادية من أهم تحديات الأمن القومي، والتي يجب أن تركز عليها الدولة.

التعريف الإجرائي للمفاهيم والمتغيرات:

قضايا المدرسة الواقعية: سيتم التركيز على قضيتين أساسيتين تعدان في صلب المدرسة الواقعية، وكذلك على تكرار تغطية القضيتين الآتيتين في تحليل المضمون:

1 – التسلح والصراع.

2 – الإرهاب الدولي.

قضايا المدرسة العالمية: سيتم التركيز على قضايا المدرسة العالمية، وهي تضم تكرارات تغطية هذه القضايا في تحليل المضمون الذي استخدم في جمع البيانات الأولية لبناء قاعدة البيانات للدراسة، وهي تضم القضايا الست الآتية:

1 – المديونية.

2 – التجارة الحرة.

3 – الهجرة والسكان.

4 – البطالة.

5 – الإيدز.

6 – التلوث والبيئة.

الفترة الزمنية للدراسة

تغطي هذه الدراسة ثماني سنوات، وهي (من عام 1990 إلى نهاية عام 1997). وقد تم اختيار هذه الفترة الزمنية للأسباب التالية:

1 – تنامي الحديث عن النظام الدولي الجديد، والنظام العالمي الجديد، وإفرازات هذا النظام، مثل العولمة والابتعاد عن الصراع والاهتمام بالقضايا الإنسانية.

2 – ادعاء بعض الباحثين بتراجع أهمية القوة، وبروز قضايا العولمة، وهي القضايا التي تهم أكثر الدول في العالم.

3 – نقد المدرسة الواقعية في قدرتها على تفسير الأحداث الدولية، والتنبؤ بها.

4 – ملاءمة فترة الدراسة لاختبار فروضها، من ناحية نظرية وعملية.

5 – القدرة على كشف أنماط العلاقة المراد اختبارها، لأن الفترة الزمنية تضم جميع أيام سنوات الدراسة المتعلّقة بالباحثين وصنّاع القرار، وتحديد أنماط طرح قضايا كل مدرسة من خلال تحليل المضمون، ومقارنة قضايا المدرستين، من حيث الكم والتغيير النسبي السنوي، وذلك من أجل معرفة اتجاه زيادة التركيز على قضايا كل مدرسة أو تراجعه.

مصادر البيانات:

تم تشكيل قاعدة بيانات أولية لقياس معدل تكرار تغطية القضايا التي تركز عليها الدراسة، واعتمدت الدراسة على أسلوب تحليل المضمون للصفحة الأولى من جريدة الدستور الأردنية.

واختيرت الصفحة الأولى للمسوغات العلمية الآتية:

1 – تعكس الصفحة الأولى أهم القضايا والتطورات على الساحة الدولية.

2 – الصفحة الأولى هي أفضل مرآة لمخرجات الدول في إطار التعامل الدولي.

3 – اتباع القاعدة العلمية التي ترى أن الأحداث المهمة تكون في الصفحة الأولى.

وتم اختيار صحيفة الدستور الأردنية للأسباب التالية:

1 – اهتمام الصحيفة بالشئون الدولية.

2 – المناخ الديمقراطي في الأردن، وما يعكسه من حرية التعبير الحر والنسبي مقارنة بالدول المجاورة.

3 – عدم الرغبة في التركيز على صحف عربية أخرى، وذلك بسبب الانحياز المعروف.

4 – محاولة تجنب اختيار صحيفة أمريكية أو أوروبية خوفاً من عامل الانحياز لديها.

5 – محاولة رؤية وجهة نظر عربية في المناظرة العلمية في حقل العلاقات الدولية، ومدى تأثيرها في الواقع العربي.

أسلوب تحليل المضمون:

تم استخدام تحليل مضمون العنوان والفكرة، وذلك من خلال التركيز على القضايا الدولية في الصفحة الأولى، وتدوين تكرار تغطية هذه القضية بوصفها خبراً أو تعليقاً (مع الإشارة إلى أن معظم الحالات كانت على شكل خبر). ووضعت استبانة خاصة لبيانات الدراسة الأولية. حيث إن وحدة التحليل في الدراسة هي فكرة الخبر أو التعليق الذي يطرح أياً من قضايا الدراسة الواردة في التعريف الإجرائي للدراسة، ومن ثمّ تم تحويل هذه البيانات باستخدام برامج الإحصاء المتوافرة، وخصوصاً (Excel)، ومراجعة (2920) عدداً من صحيفة الدستور، وأظهرت الدراسة (615) حالة تدخل ضمن التعريف الإجرائي لقضايا الدراسة، وهي معروضة في جدول (2).

نتائج الدراسة

تشير البيانات الواردة في جدول (2) إلى أن هناك (615) حالة في فترة الدراسة تغطي قضايا كل من المدرستين الواقعية والعالمية منذ عام 1990 إلى عام 1997. وتوزعت على الشكل الآتي: كان عدد قضايا المدرسة الواقعية (340) حالة، وشكلت ما نسبته (55%) من عينة الدراسة، أما قضايا المدرسة العالمية فكان عددها (275) حالة، وشكلت ما نسبته قرابة (45%) من عينة الدراسة.

أما بالنسبة إلى البيانات الجزئية، فتشير النتائج الواردة في جدول (2) إلى ما يلي:

قضايا المدرسة العالمية:

تشير البيانات الواردة في جدول (2) إلى ما يلي:

أولا: احتلت قضية الهجرة والسكان الحجم الأعلى من الحالات (88) حالة، وهو ما نسبته (32%) من مجموع حالات المدرسة العالمية، وشهدت أعلى مستوياتها في عام 1990 (48) حالة. وقد يكون ذلك انعكاساً لما حدث في منطقة

الشرق الأوسط، وبالتحديد أزمة الخليج الثانية التي أدت إلى تهجير الملايين من الكويت ودول الخليج العربية نتيجة لاحتلال العراق للكويت في عام 1990، وما أنتجه من آثار سلبية على واقع العالم العربي (ما زالت تعاني منه حتى الآن)، لذا فقد يؤثر ذلك في دقة النتائج، حيث يعطي دعما للمدرسة الواقعية، فالهجرة ومشكلة السكان هي من نتائج الحرب واستخدام القوة في العلاقات الدولية.

ثانياً: احتلت قضية المديونية المرتبة الثانية (81) حالة في القضايا التي ركزت عليها المدرسة العالمية، وشكلت ما نسبته (29%) من مجموع حالات قضايا المدرسة العالمية، وأظهرت السنوات من (1990 – 1993) اهتماما ضعيفاً بهذه القضية بمعدل (6) حالات سنويا، أما بعد ذلك فقد بدأت تلك القضية الدولية في الظهور بشكل كبير في الفترة السابقة، حيث بلغ معدل طرح قضية المديونية في الأعوام من 1994 – 1997 (14) حالة سنويا، وهذا يشكل زيادة قدرها أكثر من (100%) عن الفترة السابقة.

ثالثاً: قضية التجارة الحرة: إن الحديث عن العولمة، وإن العالم أصبح قرية صغيرة، وضرورة أن تعدل دول العالم الثالث من طرق عمل اقتصادها وآلياته، لا بد أن ينعكس على قضية التجارة الحرة في قضايا المدرسة العالمية، والملاحظ من خلال النتائج في جدول (2) أن قضية التجارة الحرة احتلت المرتبة الثالثة في قضايا المدرسة العالمية، (61) حالة وما نسبته (22%) من مجموع عينة قضايا المدرسة العالمية. وشهدت فترة الأعوام الأربعة الأولى معدلا منخفضاً لطرح قضية التجارة الحرة، وكان معدل طرحها (3) مرات في السنة. وهي كما ذكرنا سابقاً مرحلة تصاعد في كل من: سيطرة المدرسة العالمية، والحديث المتنامي عن العولمة. ويلاحظ أن الفترة الثانية (من عام 1994 – 1997) شهدت ارتفاعا كبيراً مقارنة بالفترة السابقة، حيث بلغ طرح هذه القضية بمعدل (12) حالة سنويا وبنسبة ضعفي ما تم طرحه في المرحلة الأولى.

رابعاً: إن قضية التلوث والبيئة التي تصب في صلب المدرسة العالمية – ومثل هذه القضايا لا تعرف حدودا سياسية – لم تشهد اهتماماً كبيراً كما ظهر في عينة الدراسة، وبرزت خلال سنوات الدراسة (30) حالة، وشكلت ما نسبته (11%) من عينة قضايا المدرسة العالمية. كما شهدت سنوات الدراسة طرحا لهذه القضية بمعدل أقل من (4) حالات سنوياً. مما يحدو بنا إلى القول إن هذه القضية لم تتصدر الأجندة السياسية للدول، وخصوصاً في ظل الظروف الاقتصادية السيئة، وتهديد الأمن القومي، حيث توضع مثل هذه القضايا في السطور الأخيرة لأجندة الدول.

جدول (2)
تغطية القضايا الدولية: 1990 – 1997*

القضية الدولية	1990	1991	1992	1993	1994	1995	1996	1997	المجموع
المديونية	8	3	5	8	12	20	12	13	81
التجارة الحرة	2	4	4	2	10	13	11	15	61
الهجرة والسكان	48	9	5	8	7	6	4	1	88
البطالة	5	2	1	2	0	1	3	0	14
الإيدز	0	0	0	0	0	0	1	0	1
التلوث والبيئة	2	6	5	3	1	2	8	3	30
التسلح والصراع العسكري	37	95	30	34	27	19	24	23	289
الإرهاب	0	0	0	2	4	12	30	3	51
المجموع	**102**	**119**	**50**	**59**	**61**	**73**	**93**	**58**	**615**

* المصدر: قاعدة بيانات الدراسة.

خامساً: تم طرح قضية مرض الأيدز باعتباره جزءاً أساسياً مما تطالب به المدرسة العالمية في ظل النظام العالمي الجديد، فهذا المرض ربّما يحصد أكثر مما تحصده الحرب من حياة المواطنين، وبرغم ذلك فهذه القضية لم تحظ إلا بتغطية واحدة طوال فترة الدراسة.

نخلص إلى القول إن هناك توزيعاً غير عادل في قضايا المدرسة العالمية، فالقضايا المرتبطة بنتائج الحرب مثل الهجرة وغيرها تشكل نسبة كبيرة من قضايا المدرسة العالمية، مما يعطي دعما لأهمية المدرسة الواقعية في تفسير واقع العلاقات الدولية في الفترة الزمنية للدراسة. كما يلاحظ المتفحص أن هناك تركيزاً على قضايا أكثر بكثير من قضايا أخرى، مثل التجارة الحرة مقارنة بمرض الإيدز، ومجمل القول إنه لا يوجد نمطٌ محددّ في تكرار قضايا المدرسة العالمية من خلال بيانات الدراسة الحالية.

قضايا المدرسة الواقعية:

تشير البيانات الواردة في جدول (2) المتعلقة بقضايا المدرسة الواقعية إلى ما يلي:

أولا: احتلت قضية التسلح والصراع المرتبة الأولى، وهي تعد أيضاً عينة ممثلة، بالإضافة إلى أنّها أهمّ قضية تصب في الأمن القومي للدولة، وشكلت قرابة (289) حالة من مجموع عينة قضايا المدرسة الواقعية، وما نسبته (85%). ويلاحظ من خلال البيانات الواردة في جدول (2) أن عام 1991 شهد أعلى نسبة (95 حالة)، في حين كانت نسبة تغطية قضية التسلح والصراع متوازنة في السنوات الأخرى للدراسة، وبلغ معدل التغطية السنوية (36) حالة، لذا فإن قضية التسلح والصراع شهدت نوعا من الاستقرار خلال فترة الدراسة مقارنة بقضايا المدرسة العالمية سابقة الذكر، والتي لم يتحقق فيها نوع من الاستقرار، وهذا عامل أساسي في استنتاج مدى هيمنة المدرسة الفكرية على واقع العلاقات الدولية.

ثانياً: قضية الإرهاب: شكلت قضية الإرهاب (51) حالة، وهي تمثل نسبة (15%) من مجموع قضايا المدرسة الواقعية في ظل النظام الدولي السائد، ويلاحظ من خلال البيانات الواردة في جدول (2) أن عام (1996) شهد أعلى نسبة في تغطية قضية الإرهاب (30 حالة)، ويشكل ما نسبته (59%) من مجموع قضايا الإرهاب خلال فترة الدراسة، ويلاحظ أيضاً غياب قضية الإرهاب في الأعوام من (1990 – 1992)، وبلغ معدل قضية الإرهاب في السنوات المتبقاة ثلاث حالات سنويا.

وصفوة القول إنّ قضايا المدرسة الواقعية تفوق بكثير عدد تكرار تغطية المدرسة العالمية إذا وضعنا عدد قضايا المدرسة الواقعية (2) مقابل (6) في المدرسة العالمية، كما شهدت نوعا كبيرا من الاستقرار عبر فترة الدراسة – قضايا المدرسة الواقعية – مما يعزز فرض المدرسة الواقعية؛ لذا يمكن الاستنتاج أن المدرسة الواقعية ما زالت تسيطر على مخرجات العلاقات الدولية كما أشار فرض المدرسة الواقعية.

قضايا المدرسة العالمية والمدرسة الواقعية: تحليل مقارن

إن المتفحص لبيانات الدراسة، وخصوصاً من خلال المناقشة السابقة، يجد دعما علمياً لسيطرة المدرسة الواقعية على العلاقات الدولية خلال سنوات الدراسة، لكننا في حاجة إلى التدقيق في البيانات من خلال مقارنة نسبة الزيادة المئوية السنوية للبيانات الكلية، والبيانات الجزئية من أجل إيجاد أي مؤشرات تدعم أياً من فرضي هاتين المدرستين.

ويلاحظ من بيانات جدول (3) أن هناك دعما شبه متساوٍ لفرضي المدرسة العالمية والمدرسة الواقعية ظاهريا، لكن لا بد من تدقيق الاختبار بالنظر إلى النتائج الواردة في جدول (3) فيما يتعلق بقضايا كل مدرسة على النحو الآتي:

أولا: بالنسبة إلى المدرسة العالمية نلاحظ ما يلي:

– شهدت قضايا المدرسة العالمية زيادة نسبية مستمرة منذ عام 1993 إلى عام 1995.

– شهدت قضايا المدرسة العالمية تراجعاً نسبياً منذ عام 1996 وحتى نهاية عام 1997.

– كان عام 1990 هو أعلى سنوات الدراسة من حيث الكم بالنسبة لقضايا المدرسة العالمية، لكن إذا عددنا هذا العام عاما استثنائيا نتيجة لظروف حرب الخليج الثانية، فإن ذلك سيؤثر في باقي النتائج من حيث مقارنة المجموع العام للمدرسة العالمية بالمجموع العام للمدرسة الواقعية.

– اقترب التكرار الكلي لقضايا المدرسة العالمية من المتوسط الحسابي (34) في ثلاث سنوات فقط، في حين كانت السنوات الأربع الأخرى بعيدة عن المتوسط الحسابي، مما يعزز الفكرة التي عرضت سابقاً من عدم استقرار تكرار قضايا المدرسة العالمية.

– إذا عددنا عام (1990) عاما استثنائيا فإن عدد الحالات سينخفض إلى (215) حالة في سنوات الدراسة، وهذا يجعل المتوسط الحسابي يصل إلى (30) حالة سنوياً، ويبقى كثير من عدد الحالات السنوية بعيدا عن المتوسط الحسابي لتكرار تغطية المدرسة العالمية.

ثانياً: أما بالنسبة لبيانات المدرسة الواقعية فلا بد من الإشارة إلى ما يلي:

– شهدت قضايا المدرسة الواقعية أعلى نسبة تغير مئوي عامي 1991 و1996، في حين شهدت السنوات الأخرى انخفاضاً نسبياً في تكرار القضايا المتعلقة بالمدرسة الواقعية، دون أن يقابل هذا الانخفاض أي زيادة نسبية في قضايا المدرسة العالمية إلا في حالة استثنائية واحدة عام 1994، مما يعزز – أيضاً – عشوائية تكرار المدرسة العالمية، وعدم انبثاقها نتيجة هيمنة فلسفتها على فكر العلاقات الدولية في فترة الدراسة.

– شهدت قضايا المدرسة الواقعية نوعا من الاستقرار النسبي في عدد التكرار السنوي الكلي، مما يشير إلى أنه لا يوجد تأثير واضح للمدرسة العالمية عليها – والتي لا تنكر وجودها من حيث المبدأ – لكن ذلك يعزز هيمنتها على قضايا العلاقات الدولية، إذ إنه لو وجدت الدراسة نسبة زيادة كبرى في قضايا المدرسة العالمية يقابله انخفاض كبير في قضايا المدرسة الواقعية، لكان بالإمكان القول إن هناك تقدما ملموساً للمدرسة العالمية على الواقعية في شؤون العلاقات الدولية.

– بلغ معدل تكرار قضايا المدرسة الواقعية (43) حالة سنويا، وهذا يزيد بـ(13) حالة سنوياً عن المجموع الكلي السنوي لقضايا المدرسة العالمية.

جدول (3)
قضايا المدرسة الواقعية والمدرسة العالمية
مقارنة البيانات الكلية ونسبة التغير المئوي*

السنة	قضايا المدرسة العالمية	نسبة التغير المئوي	قضايا المدرسة الواقعية	نسبة التغير المئوي
1990	65	––	37	––
1991	24	%171 –	95	%61
1992	20	%20 –	30	%217 –
1993	23	%13	36	%17
1994	30	%23	31	%16 –
1995	42	%29	31	%0
1996	39	%8 –	54	%43
1997	32	%22 –	26	%108 –
المجموع العام	275	––	340	––

* المصدر: جدول (2).

الخاتمة

حاولت هذه الدراسة تسليط الضوء على أهم المناظرات العلمية في مجال دراسة العلاقات الدولية، في فترة زمنية شهدت تطورات كبيرة ومهمة، وعلى رأسها قضية العولمة، واختبرت فرضين أساسيين يقومان على الأسس الفكرية للمدرستين الواقعية والعالمية، وخلصت الدراسة إلى دعم فرض المدرسة الواقعية من خلال الاختبار الإمبيريقي الذي اعتمد على بيانات كمية ذات دلالة علمية. وأوضحت الدراسة أن النتائج تشير إلى سيطرة مستمرة ومستقرة للمدرسة الواقعية على مخرجات العلاقات الدولية، وهذا واضح من خلال مقارنة عدد التكرارات السنوية للبيانات الجزئية والكلية، والاستقرار الواضح في تغطية قضايا المدرسة الواقعية، وبيّنت الدراسة كذلك أن الاختبار العلمي لا يدعم فرض المدرسة العالمية ومقولاتها في الفترة الزمنية للدراسة، كما لا بد من الإشارة هنا إلى مستقبل العلاقات الدولية من حيث المخرجات التي ستبقى كما هي عليه، لأن المدرسة المهيمنة عليه هي المدرسة الفكرية التي تحكم سلوك الدول المهيمنة على العالم (الولايات المتحدة الأمريكية). ومن الواضح أن بروز قضايا المدرسة العالمية لا يعني بالضرورة تغيراً في المنهج السلوكي للدول في العلاقات الدولية، لأن مثل هذه القضايا موجودة، وما هي إلا فورات هنا وهناك لا تعبر بالضرورة عن تغير منهجي فلسفي في دراسة العلاقات الدولية، بل إنّها – كما ألمحت الدراسة – تستخدم بوصفها غطاء لتحقيق الأهداف الذاتية للأمن القومي للدولة المسيطرة، دون وجود تركيز وسياسة بعيدة المدى فيما يتعلّق بالموضوعات المهمة (Strand, 1999).

وأهم النتائج المستقاة من هذه الدراسة، أن المحلّل وصانع القرار – في مجال العلاقات الدولية – لا بدّ أن يكون على علم واطلاع بالأسس الفكرية التي تنطلق منها النشاطات الدولية في الوقت الحالي، فالعولمة التي تنادي بها الولايات المتحدة الأمريكية ما هي إلا فكرة جديدة للواقعية السياسية التي قامت عليها السياسة الخارجية الأمريكية منذ الحرب العالمية الثانية وحتى وقتنا الحالي (بداية الألفية الثالثة)، أمّا الدعوة إلى التركيز على قضايا الديمقراطية، والتحرر الاقتصادي، والقضايا الأخرى التي تصاحب العولمة، فلا يوجد لها منبع فلسفي مسيطر في سياسة الدولة المهيمنة على العالم في بداية القرن الحادي والعشرين، لذا يمكن أن نطلق مصطلحاً آخر على العولمة ينسجم مع المنبع الفكري للمدرسة المسيطرة على واقع العلاقات الدولية في الوقت الحالي، وهو «الأمركة»، أي محاولة تهيئة مناخ

عام تسيطر فيه الولايات المتحدة الأمريكية على العالم بأقل كلفة ممكنة، وهذا هو نموذج الفاعل العقلاني، والذي يقوم على أساس مبادىء المدرسة الواقعية (حسابات المصلحة الذاتية الأنانية) (Allison, 1971; Telhami, 1999).

وإذا كانت العولمة إيجابية كما يدعي بعض المفكرين، فلا بد أن نرى ذلك واضحاً على سلوكيات الدول العظمى في العالم من خلال انخفاض عدد الحروب، والإنفاق العسكري على آلة الحرب، والتركيز على القضايا الإنسانية المهمة، ويجب أن يتوافر ذلك في بيانات مطردة، تظهر حضور هذه الصورة المنشودة، وإلا فإن القضايا التي تشير إليها الدول العظمى تبقى حالات استثنائية تم القيام بها من أجل تحقيق مصالح ذاتية، وما دمنا نتكلم عن مصالح قومية ذاتية فإننا بعيدون كل البعد عن النواحي الإيجابية للعولمة، لذلك لا بد لصناع القرار في دول العالم الثالث من اليقظة؛ فالعولمة قد تكون شكلاً آخر من أشكال الاستعمار لكن عن رغبة أكيدة منها، وتبقى الدول المتحكمة في النظام العالمي أو الدولي هي من يصنع ظروفها.

المصادر

ري، جيمس لأي (1996). **الحروب في العالم، الاتجاهات العالمية ومستقبل الشرق الأوسط**. أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية: دراسات استراتيجية (1).

عدنان الهياجنة، (1991). **دبلوماسية الدول العظمى في ظل النظام الدولي تجاه العالم العربي**. أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية: دراسات استراتيجية (29).

Adams, K. R. (1999). Is structural realism totalitarian? Paper presented at the 1999 annual meeting of the American Political Science Association, September 2-5.

Adamson, F. B. (1999). Globalization, international migration and changing security interest in Western Europe. Paper presented at the 1999 annual meeting of the American Political Science Association, September 2-5.

Allison, T. (1971). *Essence of decision: Explaining the Cuban missile crisis*. Boston: Little, Brown and Company.

Carr, E. H. (1962). *The twenty years' crisis 1919-1939*. New York: St. Martin Press.

Crothers, L. (1999). Individualism, egalitarianism, and the shining city on a hill: The political cultural foundation of violence in American foreign policy. Paper presented at the 1999 annual meeting of the American Political Science Association, September 2-5.

Dixon, W. J. (1992). Democracy and the peaceful settlement of international conflict. Paper presented at the 1992 annual meeting of the American Political Science Association, September 2-6.

Eisenstadt, M. (1998). U.S. military capabilities in the post cold-war era. Implications for the Middle East allies. *The Middle East Review of International Affairs,* 2: (4). (Internet ed.).

Ferguson, Y. H., & Richard W. M. (1988). *The elusive quest: Theory and international politics*. South Carolina, USA: University of South Carolina.

Freedman, R. O. (1999). U.S. policy toward the Middle East in Clinton's second term. *The Middle East Review of International Affairs,* 3(1) (Internet ed.).

Heisbourg, F. (1999). American Hegemony? Perceptions of the US abroad. *Survival*. 4:(4). (Internet ed.).

Hussain, I. I. (1999). Divided we stand, united we fall? the United Nations, collective security and the cold war context. Paper presented at the 1999 annual meeting of The American Political Science Association, September 2-5.

Kegley, C. W. Jr. (1993). The neoidealist moment in international studies? Realist myths and the new international realities. *International studies Quarterly*, 37, 131-146.

Keohane, R. O. (1983). Theory of world politics: Structural realism and beyond. In A.W. Finifter (Ed.), *Political science: The state of the discipline*. Washington, D.C.: American Political Science Association.

Keohane, R. O. (Ed.), (1986). *Neorealism and its critics*. New York: Columbia University Press.

Keohane, R. O. (1988). Alliances, threats, and the uses of neorealism, Book Review: The origins of alliances, by Stephen M. Walt (1987). *International Security*, Summer, 13 (1), 169-176.

Keohane, R. O., & Joseph, S. N. 1998. Power and interdependence in the information age. *Foreign Affairs*, 77 (September): 81-95.

Kuhn, T. S. (1970). *The structure of scientific revolutions*. Chicago: The University of Chicago Press, 2nd ed.

Miller, B. (1999). Between war and peace: Systemic effects on the transition of the Middle East and the Balkans from the cold war to the post-cold war era. Paper presented at the 1999 annual meeting of the American Political Science Association, September 2-5.

Morgan, P. M. (1990). *Theories and approaches to international politics: What are we think*. New Brunswick, USA: Transaction Publishers, 4th ed.

Morgenthau, H. J. (1952). *Politics among nations: The struggle for power and peace*. New York: Knopf.

Nye, J. S. Jr. (1998). U.S. security policy: Challenges for the 21st century. *USIA Electronic Journal*. (3):3. (Internet ed.).

Rosenau, J. N. (1999). Human rights in a turbulent and globalized world. Paper presented at the 1999 annual meeting of the American Political Science Association, September 2-5.

Rubin, B. (1999). U.S. foreign policy and rogue states. *The Middle East Review of International Affairs*, 3(3). (Internet ed.).

Russell, R. L. (1999). Neorealism on the stabilizing effects of nuclear weapons proliferation: A traditional realist's critique. Paper presented at the 1999 annual meeting of *the American Political Science Association*, September 2-5.

Shimko, K. L. (1992). Realism, neorealism, and American liberalism. *The Review of Politics 54, 281-301.*

Sullivan, M. P. (1990). *Power in contemporary politics*. Columbia, SC: University of South Carolina Press.

Sullivan, M. P. (1982). Transnationalism, power politics, and the realities of the present system. In R. Maghroori & B. Ramberg (Eds.), *Globalism versus realism: International relations' thrid debate*. Boulder, Colorado: Westview.

Stockholm International Peace Research Institute (SIPRI). (1999). *SIPRI arms transfer project*. Oxford: Oxford University Press.

Strand, J. R. (1999). Regional voting blocks in the international monetary fund. Paper presented at the 1999 annual meeting of the American Political Science Association, September 2-5.

Telhami, S. (1999). An essay on neorealism and foreign policy. Paper presented at the 1999 annual meeting of the American Political Science Association, September 2-5.

Vasquez, J. A. (1979). Coloring it Morgenthau: New evidence for the old thesis on quantitative international politics. *British Journal of International Studies*, 5, 210-228.

Walt, S. M. (1998). International relations: One world, many theories. *Foreign Policy*. No 110, (Spring): (Internet ed.).

Waltz, K. N. (1979). *Theory of international politics*. Reading, Mass.: Addison-Wesley Publishing Company.

Weller, M. (1999). Iraq and the use of force in a unipolar world. *Survival*, 4 (4). (Internet Ed.).

Zakaria, F. (1998). *From wealth to power, The unusual origins of American's world role*. Princeton: Princeton University Press.

مقدم في: فبراير 2000.

أجيز في: أبريل 2001.

Political sciences

Realism vs. Globalism and International Issues: An Empirical Analysis, 1990-1997

Adnan M. Hayajneh*

The paper investigated the validity of the two main approaches in the study of international relations namely realism and globalism. The paper tested two hypotheses regarding the issues of each school during the time period from 1990 to 1997. The first hypothesis argued that realism will lead to more concentration on military and security issues in international affairs, while the globalist hypothesis, argued that globalism will lead to more concentration on soft security issues.

Content analysis was used to test the two hypotheses, using the first page of a leading newspaper, *Ad-Dustour*, to uncover the issues of each school. The study found that (519) cases match the definition of the study regarding the issues of the two schools.

It was found that military and armament issues are still the main important issues in international politics. More importantly, the paper concludes that globalism is a new version of realism since it is the yardstick and the explaining theory of the hegemonic behavior during the time period of investigation. Poverty, pollution, population and many other important issues do not receive the same attention by international actors in the new ''American International System''.

Keywords: Realism, Globalism, International issues, Empirical analysis, Realism vs. Globalism debate, Content analysis.

* Assistant Professor, Dept. of Political and Sociology Sciences, The Hashemite University, Jordan.

Journal of the Social Sciences
Vol. 29, No. 2 - Summer 2001, pp 7 - 30.